مقتطفات من كتاب
عبقرية الصديق
عباس العقاد

حدوتة كتاب

إليك لأنك تعرف لماذا!!!؟

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com

وكذلك الشأن فى ثروات النفوس حين يحصيها المقدِّرون : تصدق إن ذكرت له ما يملك ، ولا يفوتك الصدق إن فاتك أن تحصىَ كل ما ليس له بملك ، فليس هذا بغرض من أغراض الإحصاء أو التعريف .

ومذهبنا الذى نتوخاه فى الكتابة عن العظماء الذين حسنت نياتهم فى خدمة الإنسان أن نوفيهم حقهم من التوقير ، وأن نرفعَ صورهم إلى مكان التَّجِلَّة

وكان لمروءته يتحاشى السقَط من الكلام ، فلا يتكلم إلا أن يدعوه داع إلى قولة خير فيقولها إذن ويصدق فى مقاله . ومن وصاياه لبعض عماله : « إذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام يُنسى بعضه بعضًا » .

قال ربيعة الأسلمى : « جرى بينى وبين أبى بكر كلام فقال لى كلمة كرهتها وندم ، فقال : يا ربيعة ! ردّ علىَّ مثلها حتى يكون قصاصًا قلت : لا أفعل! قال : لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله ﷺ . فقلت : ما أنا بفاعل . فانطلق أبو بكر وجاء أناس منْ أسلم فقالوا لى : رحم الله أبا بكر ، فى أى شىء يستعدى عليك وهو الذى قال لك ما قال ؟ فقلت : أتدرون من هذا أبو بكرٍ الصديق ؟ هذا ثانى اثنين ، وهذا ذو شيبة فى الإسلام . إياكم لا يلتفت فيراكم تنصرونى عليه فيغضب ، فيأتى رسول الله ﷺ فيغضب لغضبه ، فيغضب الله لغضبهما فيهلك ربيعة . وانطلق أبو بكر وتبعته وحدى حتى أتى رسول الله ﷺ . فحدثه الحديث كما كان . فرفع إلىَّ رأسه فقال : يا ربيعة ! مالك والصديق ؟ فقلت يا رسول الله : كان كذا وكذا ، فقال لى كلمة كرهتها ، فقال لى : قل كما قلت حتى يكون قصاصًا فأبيت . فقال رسول الله ﷺ : أجلْ لا ترد عليه ، ولكن قل : قد غفر الله لك يا أبا بكر . . . » .

كان ذلك يوم بدر ، وكان ابنه عبد الرحمن من أشجع الشجعان بين العرب ، ومن أنفذ الرماة سهمًا فى قريش . فتقدم الصفوف يدعو إلى البراز ، وقام أبوه يجيب دعوته ، لولا أن استبقاه النبى ﷺ ، وهو يقول له : متِّعنى بنفسك .

ولما أسلم عبد الرحمن قال لأبيه : لقد أهدفت لى يوم بدر فَضِفْتُ عنك – أى عدلت عنك – ولم أقتلك ، فقال أبوه : لكنك لو أهدفت لى لم أضِف عنك .

وكان ﷺ يومًا فى المسجد قد أطاف به أصحابه إذ أقبل علىّ بن أبى طالب فوقف فسلم ثم نظر مجلسًا . والتفت ﷺ يرى أيهم يوسع له ، وكان أبو بكر على يمينه فأسرع فتزحزح عن مجلسه وهو يقول : ها هنا يا أبا الحسن ! فبدا السرور فى وجه النبى ، وقال :

« يا أبا بكر . إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل » .

فالمصلحون من عظماء الأديان أهل لكل تعظيم واعتراف بالجميل ، لا يعيبهم أنهم سبقوا عصر العلم الحديث ، بل يُزكِّيهم ذلك ويضاعف حقهم فى الثناء وعرفان الجميل ، ويدل على أن الحاجة إليهم كانت أمَسَّ وألْزم وأنهم كانوا فى خدمتهم الإنسانية أقدرَ وأعظم ، مع ما هو مفهوم من الفارق بين حاجة الناس إلى الدين وحاجتهم إلى العلوم . فهذه حاجة ذهنية وتلك حاجة حيوية أو روحية لا تغنى فيها علوم العلماء .

ولم يكن تألُّف الناس محْضَ مجاملة باللسان مما يستسهله معظم المشهورين بالتودد والمجاملة ، ولكنها كانت ألفة النجدة والكرم والسخاء ، فكان كما قال ابن الدُّغنة لقريش ، وقد همّ أبو بكر أن يهجر بلده : « أتخْرجون رجلاً يُكسب المعدوم ويَصل الرحم ويحمل الكلّ ويَقرى الضيف ويعين على نوائب الحق ؟ » .

فهو ودود كريم لا يضن بماله وجاهه فى سبيل الكرم والسخاء .

ومع هذه المودة وهذه الألفة كانت فيه حدَّة يغالبها ولا يستعصى عليه أن يكبح جماحها . ووصف بها نفسه ووصفه بها أقرب الناس إليه وأصدقهم فى وصفه . فقال فى خطبة من أوائل خطبه بعد مبايعته : « . . . اعلموا أن لى شيطانًا يعترينى فإذا رأيتمونى غضبت فاجتنبونى . . . » .

وقال عمر بن الخطاب : « وكنت أدارى منه بعض الحد – أى الحدة – » وذلك حين أعدّ كلامًا يقوله فى سقيفة بنى ساعدة ، مخالفة أن يحتدّ أبو بكر فى ذلك المقام .

وسئل عنه ابن عباس فقال : « كان خيرًا كله على حدَّة كانت فيه » .

بلغ أقصى ما بلغ من غضب وحدة فى عقاب الفُجَاءة بن إياس بن عبد ياليل . وبقى طوال حياته يندم على حدته فى ذلك العقاب . .

وماذا صنع الفجاءة حتى هاج منه تلك الحدة التى يغالبها أقوى مغالبة ؟

أثاره فى مكمن الثورة فيه . .

كذبه الأمانة ، وخدعه وخدع المسلمين ، وقتل من قتل من الآمنين ، وقلما غضب إنسان كما يغضب الصادق لصدقه المخدوع ، ولا سيما الخديعة التى فيها غدر وسفك دماء .

جاءه يطلب سلاحًا ليحارب به المرتدين ، فأخذ السلاح وحارب به المسلمين الآمنين ، وعاث فى الطريق ينهب ويسلب ويهدر الدماء ، فلما وقع فى الأسر لم يجزئه عنده إلا أن يقذف به فى النار .

« وليس مفتاح البيت وصفًا ولا تمثيلاً لشكله واتساعه ، وكذلك مفتاح الشخصية ليس بوصف لها ولا بتمثيل لخصائصها ومزاياها ، ولكنه أداة تنفذ بك إلى دخائلها ، ولا تزيد » .

فشخصية الصديق لها مفتاح قريب المتناول وهو هذا المفتاح ، مفتاح الإعجاب بالبطولة .

وهذا الإعجاب بالبطولة هو الوَسْم الذى يتسم به كل عمل من أعماله وكل نية من نياته ، وهو السر الذى نراه كامنًا فى كل رأى يرتئيه وكل قرار حاسم يستقر عليه .

ومن قال من المكابرين والمتعنتين : إن دعوة محمد لم تكن بالدعوة الصالحة فليقل : أيّ صلاح كان يَلقى فى الجزيرة العربية مجيبين أكرم وأقدر من هؤلاء المجيبين؟ وأى هداية بين الناس أشرف من الهداية التى تجمع إليها أقوى الأقوياء وأطيب الطيبين ، على ما بينهم من تقابل فى المزاج والرأى كأعجب ما يكون التقابل بين المختلفين المتفاوتين؟ وأى إقناع أقنع الصديق؟ وأى إقناع أقنع الفاروق؟ الخشية؟ المتعة؟ الشر؟ الطمع؟ لقد كانا إذن أحرى من يجيب ، وكان خصومهما إذن أسرع المجيبين وأسبق المؤمنين!

وهنا تسعف الصدّيق طبيعة هى أعمق الطبائع فيه ، أو هى العبقرية الصدّيقية فى أوانها ، وعلى أحسن حال تكون .

هنا تسعفه القدوة القويمة بالبطل المحبوب .

وهنا يقول وقد خوّفه الخطر على المدينة والجيش يفارقها :

« والله لا أحُلّ عقدة عقدها رسول الله ! ولو أن الطير تخطفتنا ، والسباع من حول المدينة ، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزنّ جيش أسامة ! » .

كلمة لو قالها غير أبى بكر لكانت كبيرة ، ولكن الذى يقولها أبو بكر وبنته أعز أمهات المؤمنين .

أما غزوة فارس فقد كانت استطرادًا لحروب الردة فى أطراف البحرين ، فكانت القبائل التى تدين لسلطان فارس توالى الإغارة على أرض المسلمين فيدفعونها ويقتصون منها ويتعقبونها فى بلادها ، وكان الصديق رضي الله عنه يجهل اسم القائد المقدام الذى كان يتولى الدفاع والتعقيب فى تلك الأنحاء ، فسأل عنه فى شىء من العجب : من هذا الذى تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه ؟ فعرّفه به قيس بن عاصم قائلاً : هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد : هذا المُثنّى بن حارثة الشيبانى !

وقد كانت سُنّته فى جمع القرآن سنته الواضحة التى لا مَحيد عنها : وهى سنة الاقتداء والإصغاء إلى القويم من الآراء . فلمّا مات من مات من حُفّاظ القرآن فى حروب الردة وخيف على من بقى منهم أن تأتى عليهم حروب فارس والروم كَبُر الأمر على عمر فأشار على الخليفة بجمع القرآن . فأحجم بادئ الرأى ، وهو يقول : كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ؟ ثم انشرح صدره لما أشار به عمر فتجرد له بجميع عزمه ، وانقضت خلافته على القول الأشهر والقرآن مجموع مفروغ من كتابته فى المصاحف كما نقرؤه الآن .

وعلى هذا لم يكن أبو بكر متعصبا للجاهلية وعباداتها ، بل لعله كان مزدريا لها مستخفاً بالأصنام وبأحلام عابديها ، وإذا صح ما جاء فى «أنباء نجباء الأبناء» فهو لم يسجد لصنم قط : وقال : «لما ناهزت الحُلُم أخذ أبو قحافة بيدى فانطلق بى إلى مِخدع فيه الأصنام فقال : هذه آلهتك الشم العوالى ، وخلاّنى وذهب ، فدنوت من الصنم وقلت : إنى جائع فأطعمنى! فلم يجبنى . فقلت : إنى عار فاكسنى! فلم يجبنى . فألقيت عليه صخرة فخر لوجهه» .

فإذا كانت فتنة الردة قد كشفت عن زيغ الزائغين وريبة المرتابين فهى قد كشفت كذلك عن الإيمان المتين والفداء السمح واليقين المبين فحفظت للناس نماذج للصبر والشجاعة والإيثار والحمية تشرق بها صفحات الأديان ، وجاءت الشهادة الأولى على لسان رجل من أصحاب طلَيحة سأله : ويلكم ما يهزمكم ؟ فقال له : أنا أحدثك ما يهزمنا . إنه ليس رجل منا إلا وهو يحب أن يموت صاحبه قبله ، وإنا لنلقى قومًا كلهم يحب أن يموت قبل صاحبه !

وكان أبو بكر يقول : « والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقًا[1] لقاتلتهم على منعها » . . . ويملكه الغضب فيصيح بصاحبه : « يا ابن الخطاب ، رجوت نصرتك وجئتنى بخذلانك ؟ أجبّار فى الجاهلية وخوّار فى الإسلام ؟ إنه قد انقطع الوحى وتم الدين ، أوَ ينقص وأنا حى ؟ » .

فخلاصة ما يقال فى سياسة الصديق للدولة الإسلامية على عهده أنها كانت سياسة المقتدى المقتدر الفعال الذى يصغى إلى النصح ممن يرون التصرف والتمييز والابتداء ، ولم يكن قط مقتديًا على ضعف وتواكل وإلقاء بالتبعة على غيره ، بل ربما اقتدى ليعمل ما هو أصعب وأعضل وأنهض بالتبعة من أعمال المتصرفين .

ولكنه خطأ له عذره ، وخطأ فى رأى أبى بكر نفسه قد ندم عليه بعد فورة الغضب التى ذهبت بحلمه ورفقه ، وقد ظل يذكر هذا الخطأ ويأسف له إلى أن قال وهو يجود بنفسه :

« وددت أنى لم أكن حرقت الفجاءة السُّلمى وأنى كنت قتلته سريحًا أو خليته نجيحًا ....» .

« إذا وعظتهم فأوجز ، فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضًا » .

وكان يقول : « إن البلاء موكل بالمنطق » ويجتنب التزيد فى المقال كما يجتنب التعرض للبلاء .

قال لخالد بن الوليد :

« أقل من الكلام فإنما لك ما وعى عنك » .

فحسبك أن تعلم معدن القول من نفسه وفكره حين تسمع كلمة كقوله :

« احرص على الموت توهب لك الحياة » ،

أو قوله : « أصدق الصدق الأمانة وأكذب الكذب الخيانة » ،

أو قوله : « خير الخصلتين أبغضهما إليك ،

أو قوله : « الصبر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان كله » ،

أو قوله : « إذا فاتك خير فأدركه وإن أدركك فاسبقه » ،

وحوصر ابنها عبد الله فى مكة فخذله الناس حتى أهله وولده ، وعرض عليه بنو أمية الأمان والولاية والمال . فذهب إليها يعرض عليها أمره ، وهو يقول : « . . . لم يبق معى إلا اليسير ومن لا دفع عنده أكثر من صبر ساعة من النهار ، وقد أعطانى القوم ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟

فما ضعفت من الهول ضعف النساء ، ولا ضعف الأمهات ، وإن الأبطال الصناديد ليضعفون فى مكانها ، فلا يعدمون المعذرة الناهضة والشفاعة المقبولة ، بل ملكت جأشها وملكته جأشه وأقبلت عليه تقول :

« يا ولدى ؛ إن كنت على حق تدعو إليه فامض عليه ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك غلمان بنى أمية فيتلعبوا بك ، وإن قلت إنى كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت نيتى فليس هذا فعل الأحرار ، ولا فعل من فيه خير . كم خلودك فى الدنيا ؟ القتل أحسن ما يقنع به يا ابن الزبير . والله لضربة بسيف فى عز أحب إلىّ من ضربة بسوط فى ذل » .

والتفتت تدعو الله كأنما تناجى نفسها :

« اللهم ارحم طول ذاك النحيب والظمأ فى هواجر المدينة ومكة ، وبره بأمه ! اللهم إنى سلمت فيه لأمرك ، ورضيت فيه بقضائك ، فأثبنى فى عبد الله ثواب الشاكرين » .

مقالة أم جاوزت المائة واصطلحت عليها الملمات وكف بصرها من الحزن ويئست من نصرة ابنها ومن حياته فى جهاده ، فناهضت من السن والمرض والخوف والثكل فى أحرج الساعات ما تنوء به عزائم الأقيال وتنهد له أركان الجبال .

وقال على رضي الله عنه فى تأبينه :

« . . . كنت كالجبل الذى لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف : كنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفًا فى بدنك قويًا فى أمر الله ، متواضعًا فى نفسك عظيمًا عند الله ، جليلاً فى الأرض كبيرًا عند المؤمنين ، ولم يكن لأحد عندك مطمع ، ولا لأحد عندك هوادة ، فالقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه ، والضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له ، فلا حرمنا الله أجرك ، ولا أضلنا بعدك . . . » .

وفى هذا الثناء كفاية إذا عمدنا إلى الثناء الذى قاله فيه عارفوه .

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد

حسابات حدوتة كتاب

للاند رويد
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.BookHdotah

للكمبيوتر والايفون
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/Book_show_simple.php

يوتيوب
https://www.youtube.com/channel/UCTG5AYoNunvwpHnPEybZxRg

فيسبوك
https://www.facebook.com/hdoott

واتساب
https://chat.whatsapp.com/GRX8q4psOOVEsaVTvcYLeD

تلجرام
https://t.me/Book_hadotah

شاركونا كتبكم على هذا الرابط
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/coments_form.php

او في قسم (شاركنا كتاب) بقائمة التطبيق

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)

www.cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com
+201001490077 - +96890968355